

موسيقى

بيتهوفن و تشايكوفسكي

أبحاث ودراسات كثيرة تشير إلى أن الأغنية الأولى التي اطلقها الإنسان، كانت سعياً إلى الزواج، بين الذكر والانثى.. كان الغناء كان الإشارة والضمانة لاستمرار الحياة البشرية. هنا، نقف عند قيمة الحب لدى كل من بيتهوفن و تشايكوفسكي



بيتهوفن في غرافيتي في مدينته بون (إينا فاسيندر/ فرانس برس)

الحب عازفاً منفرداً

علي موره لي

لعل الموسيقى لم تكن، لو لم يكن الحب. في دراسة أجراها سنة 2000 بعنوان «أغاني قردة الجييون والغناء البشري»، يستقري عالم الأنتروبولوجيا، توماس غايسمان، تطور الغناء لدى الثدييات مع مجموعة الرئيسيات، أو القردة على أنواعها، مشيراً إلى ارتباطه، على نحو ما، بسلوكيات التزاوج ما بين الأنثى والذكر، وذلك من أجل المحافظة على وثاق الصلة مع الجنس الآخر، بغية الإنجاب والعناية بالصغار.

أما في بحث بعنوان «مقاربة متعددة المناهج إزاء أصول الموسيقى»، نشرته مجلة العلوم الأنتروبولوجية سنة 2014، يُضيف الباحث إيون مورلي دوراً لما يُطلق عليه «الإصطفاء الثقافي» القائم على تعزيز سمات اللياقة الاجتماعية، من خلال الموسيقى على نحو خاص في عادات التزاوج بين البشر، على دور الإصطفاء الدارويني الطبيعي المتكئ فقط على البيولوجيا، وذلك في تتنوع المنشا والسبب في ميل الإنسان إلى العزف والغناء. بمقتضى الحال البشرية، ومع أخذ رأي العلماء في عين الاعتبار، لا يغيب عن ذهن

قارئ مدى ارتباط الموسيقى بالمشاعر، بحكم أن الموسيقى هي أشد الوسائط الفنية مقدرة على التعبير المجازي عما يحترق في قلب من عاطفة، وما يختلج في نفس من أحاسيس. فما بالك، إذن، بالحب وأشكاله العديدة، من حب جمع اثنين أو فرقهما، عشيقين كانا أم صديقين، إلى محبة يعانق بها الإنسان الإنسانية.

يُعد تقليد التروبادور أحد تلك الجذور البكر والعميقة للموسيقى الكلاسيكية. وهو فن خطابي يؤديه شاعر جوال، يُلقى القصائد

الف بيتهوفن سلسلة غنائية حملت عنوان «إلى الحبيبة البعيدة»

له أصولاً ترجع به إلى الحكم العربي لشبه جزيرة الأندلس، حتى أن التسمية ذاتها (تروبادور) لعلها تحويرٌ للفظلة طرب - دور، أو دور طرب بالعربية.

من هنا، يبدو الحب كما تغنى به العرب وعاشوه وعانوه، كما لو كان داخلاً بصميم التعبير الموسيقي لدى الغرب. ألم الفراق والشوق إلى اللقاء والتوق إلى الوصال، في ظل البعد والانفصال بوصفها جميعاً من موضوعات الحب العذري، الذي عادةً ما يدور في داخل الشاعر وخارج خيام الزوجية، التي لطالما دانت على تأسيسها الاعتبارات الأسرية والقبلية، صار عبر وسيط التروبادور من مُشكلات الخاصة السردية، الدرامية والاحتدامية، التي ظلت مميزة للموسيقى الكلاسيكية في الشكل والمضمون، وحتى في الصياغة، على الأخص في الحقبة الرومانسية في القرن التاسع عشر.

أحد رموز الحب العذري، أحادي الطرف والمستعصي، ومن بين أعلام الموسيقى الكلاسيكية، ليس سوى رمز الرومانسية الأول والأكبر، لودفيغ فان بيتهوفن. حياة الموسيقار لم تكن وحدها سلسلة من التجارب العاطفية البائسة أو غير المكتملة في أحسن الأحوال، بل إنها قد انعكست

السادسة

إعداداً للشبهات، وفي مسعى من أجل صرف الانظار عن حقيقة ميله، تزوج تشايكوفسكي من إحدى طالباته المُعجبات حين كان عميداً للمعهد الموسيقي في موسكو، وهما انطونيا ميلوكوفا. لم يدم الزواج طويلاً، ولم يزد حياة المؤلف إلا عذاباً، يتجلى في إبداع صورة في الحركة الرابعة من سيمفونيته السادسة، صرخة عارمة كمنها الوجد واطلقها الغضب من ظلم الحياة لكل من يرنو إلى الحرية.

فرقة The Rubens عام 2020 معكوساً

عمر بقيوف

قبل أكثر من سنة، ويكاد يكون تأثير جائحة كورونا عليه غير موجود. تعتمد فرقة The Rubens في صناعة اليومها الجديد على ذات الأسلوب الذي رافقها منذ بدايتها؛ فهي تستند إلى مبدأ «الإكثار في الإقلال»، السائد في موسيقى الإندي روك، وتؤمن أنه كلما قل عدد الضربات الموسيقية في الأغنية، زادت حدتها وتضاعف أثرها. لذلك، نلاحظ أن الفرقة لا تستخدم في الجملة الموسيقية الواحدة سوى صوتين متباينين، أو ثلاثة كحد أقصى. وفي معظم الأغاني، تنتج مقطعاً يعتمد على اللحن الرئيسي للأغنية، ولكن يتم عزفه بشكل أبطأ، لتحاوّل الفرقة من خلاله أن تستعرض أكبر أثر من الممكن أن

لا تستخدم الفرقة في الجملة الموسيقية سوى صوتين متباينين



«كل غرفة مررت بها تحولت إلى غيمة» (Getty)

أيضاً على أعماله بالتعاونين والمضامين. فالمؤلف الأشهر في عصره، وفي كل عصر، لم يتزوج قط. وذلك في زمن لم تزل الطبقات الاجتماعية تحدد مصائر النسوة، سواءً بتزويجهن عنوة، أو بتقييد خياراتهن حيال من يتزوجن، فقد فشل «المزكناتي» سليل الأسرة المتواضعة في بلورة أيّ من قصص الحب التي عاشها تنويجاً بالارتباط، وانتهاءً بالأسرة والأولاد، كما دلت الرسالة الشهيرة التي تعود إلى سنة 1812، المكتوبة بخط يده، وقد عُثر عليها بين أشياءه بعد رحيله، والتي وجهت معنونة مفتوحة على الترجيح والتأويل «إلى الحبيبة الخالدة».

من الناحية الإنتاجية، تعد السلسلة الغنائية التي ألفها بيتهوفن بعنوان «إلى الحبيبة البعيدة»، ويُعتقد أنها جاءت صدأً لمتن الرسالة سابقة الذكر، المثال الأكثر صراحةً في تناول أثر الحب على الموسيقار، وذلك مقابل الإيحاء السردى والتعبير المجازي، الذي غالباً ما يستطن الأعمال الالئية. عبارة عن ست أغان كُتبت لصوت المارينتون الرجولي الجهير، بمصاحبة آلة البيانو. لا تتبع في تقالي حلقاتها سيرورة تُفضي إلى خاتمة، بل قفلة تُغلق المؤلف دائرياً، وذلك بإعادة موضوعه الأغنية الأولى في الأخيرة. إحباطاته الغرامية أتت هي الأخرى حبلً بإبداعات خُدها له التاريخ. «من أجل إيلز»، المقطوعة الخفيفة دائعة الصيت للبيانو، التي عزفها عبر العصور وحول العالم كل من وطأت أصابعه تقريباً لوح مفاتيح تلك الآلة، يُعتقد أن بيتهوفن كان قد كتبها تكريماً لذكرى إحدى حبيباته البعيدات، وهي تيريزا مالفاثي، كان قد تقدم بطلب بها مرة، إلا أنه رُفض بحكم أنها سليلة عائلة ثرية قد جرى تزويجها لأحد النبلاء في ما بعد. امرأة ثانية، هي جولي غويتشيارد، كانت فتنتها الشعلة التي فجرت في قلب بيتهوفن عملاً إبداعياً طُوب كواحد من أشهر ما كُتب لآلة البيانو، ألا وهي سوناتا ضوء القمر بحركتها الأولى الشجيرة والجليلة. غويتشيارد أيضاً كانت من أسرة نبيلة وثرية، دخلت على حياة الفنان سنة 1801 كتلميذة تدرس عنده عزف البيانو. حتى زواجها من كونت نبيل، كان مؤلفاً هو الآخر، لم يطفى نار العشق في قلب العاشق.

عبرية موسيقية أخرى احترقت بنار حب مستحيل في زمانه، هو المؤلف الروسي بتر إليتش تشايكوفسكي. نازٌ لم تكن كأي ناز، فتشايكوفسكي كان يميل بقلبه إلى من مثل جنسه، في عصر وضع أمثاله بالعار، ولا تزال روسيا اليوم بمؤسساتها السياسية والثقافية مع صعود التيار القومي المحافظ، تنكر ما خفي من حياته العاطفية التي أخذت تتكشف بعد خروج بعض رسائله الشخصية من العتمة إلى الضوء.

خلال فترة كتابته لواحدة من أشهر لوحات الباليه، «روميو وجوليت»، اقتباساً لرائعة وليم شكسبير الشهيرة، كان الموسيقار عالقاً بشباك عشقه لإدوارد، زاك، الذي كان وقتها لا يزال طالباً يدرس الموسيقى في موسكو، وإضافة إياه في إحدى رسائله بحب حياته. وكما جرى لجوليت حين فقدت روميو بعد أن تجرّع السم، انتحر زاك مسوماً، بضع سنوات قليلة عقب إنجاز التحفة الفنية الراقصة؛ وكما لو أن العاشق قد بكى معشوقه بمرثية تليق بعشقه قبل مماته.

تصل إليه كل علامة موسيقية. هذه الثيمة التي لازمتها، لا تتخلّى عنها The Rubens في الألبوم الجديد، بل على العكس، إنها تزداد حدة، لأن الأغاني الجديدة، هي أبداً وأقل صخباً من أغانيها السابقة.

كتابة الألبوم يتم التمهيد لها في الأغنية الافتتاحية Masterpiece، من خلال الاستناد إلى نظرية الاحتمالات، وافترض أن الحياة تتكرر، وأن النسخة التي وصلنا إليها هي النسخة الأربعةون؛ لكن هذه الرسالة التي تبينها الفرقة في المقاطع الأولى، تهدمها بذات الأغنية، مع تحويل الأغنية نحو سياقها العاطفي؛ ليكون المغزى ضعيفاً وسطحياً لا يحسن استثمار النظرية؛ إذ يتم تنويج هذا السياق بحمل عاطفة من قبيل: «أنت كنت دائماً التحفة التي تزين العالم»، وفقاً لافتراض يهدم ويغير كل مكونات الوجود الأخرى في عوالم باقي الحكايات الأربعةين، باستثناء الحب والمحبوب.

هذه البداية، وإن بدت مبشرة، إلا أنها تبدو غير قادرة عن التمهيد لمحتوى الألبوم على الشكل الأمثل، إذ إنها تعجز عن رسم سياق يجمع الأغاني ببعضها، كما تعجز عن الوصول بحالة الحب إلى مكانة رفيعة. فالألبوم الذي تجمعه ثيمة الأغاني العاطفية، يبقى تائهاً من دون عنوان، حتى الوصول إلى الأغنية الرابعة Time Of My Life، التي تتطور فيها المفاهيم عن علاقات الحب والوجود والألم المادي، لتولد افتراضات لا يعرف الخيال حدوداً فيها، وتفويض بالصور الشعرية؛ إذ تتحول فيها حالة الحب إلى النبض الذي يسيطر على عصب الكون، فيتماهى الوجود المادي مع الشعور حتى تتلاشى الحدود بينهما، حتى يصبح العالم الكائن مجرد انعكاس لحالة شعورية. يرد في الأغنية: «كل حركة وكل خطوة ستنتج خطأ. كل غرفة مررت بها، تحولت إلى غيمة داكنة ترافقني في طريقي. وإذا اخترت يوماً أن اتغلب على الألم سنكسر دورة الحياة. هل ستتغير الوان الكون لو أنني حبست أنفاسي؟».

أخبار



عند الثامنة من مساء 19 فبراير / شباط الجاري، يقم الثلاثي **فؤاد وهنيب**، على خشبة مسرح الجمهورية في القاهرة، عرضاً موسيقياً، يقدمان فيه أعمالهما الالئية التي كتبها لكل من آلتا البيانو والكمان.



أصدرت فرقة الروك الأميركية **weezer**، ألبوماً جديداً، يحمل عنوان **OK Human**، وهو الألبوم الرابع عشر في مسيرة الفرقة، التي تمكنت من فرض نفسها ولونها الخاص، الذي دائماً ما تستعير فيه من الارتشيف الموسيقي العالمي نغمات مهملة.



تزامناً مع ذكرى رحيله، تقيم فرقة **هنيب باند**، يوم الخامس والمشررت من الشهر الجاري، حفلاً غلباً في «ساقية الصاوي» بالقاهرة، تودّي فيه عدداً من الاغاني التي لحنها وغناها الفنان النوبي أحمد منيب.



أصدرت فرقة الروك الإنكليزية **You Me At Six**، ألبوماً جديداً حمل عنوان **Suckapunch**، وهو الألبوم الرسمي السابع في مسيرة الفرقة التي نشأت قبل ما يقارب خمس عشرة سنة، وعاشت أفضل فترات تالقها في اعوامها الأولى.



أعلن مهرجان **مونرو للحاز** في سويسرا، أن دوراته المقبلة التي درج على إقامتها صيفاً ستبث أيضاً عبر الإنترنت. وأوضح المنظمون أن «المهرجان يواصل بذلك انتقاله إلى نموذج هجين يوفق بين الصيغة الحضورية والحضور الرقمي».

